

القارئ الماهر وأمين المكتبة

نحن فيها صامتون

كلنا صامتون

صامتون جرداً جرداً

شعر / حسين الخليفة

حتى كأننا قد تركنا ألسنتنا خارجَ بابها

أو كأننا أفواهنا من الأصل بلا ألسنة

نجلسُ جلسةَ تماثيل تحت سقوفها

تحت سقوف المكتبة العامَّةِ الخامَّةِ

فهي عامَّةٌ للطلابِ ، وهي تتبَّعُ المدرسة

الطلابُ هم الطلابُ على ضجيجهم في الساحات

ولكنَّ الصمتَ هو ضجيجهم المُفضَّلُ في المكتبة

كُلُّ طالبٍ صامتٌ ، وكُلُّ كتابٍ مفتوحٍ يتحدَّثُ

وحيث دقَّ الجرسُ جاءني طالبٌ ممتعِضٌ في الفسحة

في الفسحةِ الثانيةِ تحديداً

قال وأنا خارجٌ منَ المكتبةِ رأني أحدُ المارةِ

قال لي وأنا لم أعرفه من قديماً ، ولن أعرفه من بعد...

قال كم هو ممتعٌ أن تتسلّى

أن تقتلَ الوقتَ بين جنامين الأوراق

بين جنامين الكتبِ المُسنّدةِ البكماء

قال لي ذلك وهو لا يعلمُ أنّني لم أخرج من غرفةٍ محاطةٍ بالجدران

بل خرجتُ من غابةٍ يضيعُ هو فيها

لذلك سألتُه عن مسألةِ الكحل

وعن شُبهةِ الأكلِ والمأكولِ فقال

لم أذهب إلى المطعمِ بعد

وقد ولّيتُ زمنُ الكحلِ والمكحلةِ

فهما لا يُباعانِ في متاجرِ الكماليات

وقلتُ قبل قليل كنتُ عند ابن زيدون في الأندلس

أنشدني نونيّتهُ العصماء

قال مَن ° لا أعرفُهُ ° أيضا =

إن ° الأموات لا يتحدثون فلا تهذب

قلتُ سأبقى في مكتبتني كي أهذي كالفاقدِ وعيهِ ° أو كالمجنون

أهذي مَن ° عيني °

مَن ° ذهني الطاوي حرقبَ الأكوان

ولتبقى عني أنتَ بعيدا

كي تتحدثَ أطولَ مما ترجوه

كي تأخذَ مجدك في تسليةٍ تالفُها دوماً

وتكررها لا تسأمُ ما شئتَ مع العقلاء ..

قال الطالبُ ذلك لي ،

ما أحلى ، ما أروعَ ما حاورَ ، ما أجمل ما قال

وأقولُ لنفسي لو سئلتَ المذكورُ عن ابنِ الخبازِ البلدي

هل يعرفُهُ ،

أو هل يعرفُ مَن ° عالجَ نقصاً في استقراءِ أرسطو

أو يعرفُ كيف يفندُ أسطورةَ قتلِ المُتنبّي المشهورة

أو كيف يُعيدُ إلى نيوتنَ تفاحتَهُ

ويُعيدُ الحقَّ - إلى أهلِ الحقِّ - الأصليين

هو يأكلُ حلوى أُمِّ عليٍّ

لكن هل يعرفُ قصَّةَها

أو قصةَ برنارَ مع الشعرِ/النثرِ، يُعمِّمُها المبهورون

أو كيف يُخالفُ قصَّةَها المعتزُّون بإيقاعِ رؤاهم

تتنقَّلُ موسيقى أحرفهم من غيرِ شروطٍ بين الكلمات

لكنَّ تنقُّلَها مُتَّسِقٌ في إيقاعِ المعنى والألفاظ

هل يعرفُ ذاكَ المذكورُ من ابنِ الكاتبِ

وكم أعشى مرَّ عليٍّ ومنه أَلْفٌ مُبْجَحَ الأعشى

هل يعرفُ ديوانَ الشوقياتِ المجهولة

والعلاَّةَ - يحسبُها الحُسباني معلولة

وقلتُ لِنفسي يكفي يكفي

يكفي ماردٌ - الطالبُ من رَدِّ ساحقِ

هذا الطالبُ سوف يكونُ المذكورَ بعلمٍ في الجيلِ الحالي

ولدى جيل الزمن اللاحق

وأقول لنفسي

هذا الجيلُ الحاليُ قارئ

لا تعباً بالحمقى يتَّهمون الجيلَ بكُرهٍ الحرف

هذا الجيلُ سيُنتجُ معنى المعنى في معنىً كان

وسيُخرجُ منْ كامنٍ طاقتَه ما يُبهِجُ كُـلَّ البهجةِ

ما يسعدُ فيه الإنسان.
